

الأخلاق 9 آداب المتعلم في دروسه الحصة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا سهل إلا ما سهلته، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، فاجعلي الحزن سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفهما يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبارك الله يومى ويومكم وأعمالى وأعمالكم، ونفعني الله وإياكم بهذا اللقاء لجاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الشرفاء، مع درس جديد من دروس مادة الأخلاق، ومع كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم، والمتعلم لمولانا الإمام العلامة القاضي بدر بدر الدين. جماعة رحمه الله تعالى، ولا زال الحديث مستمر، ا معنا في الفصل الثالث في آدابه، أي آداب المتعلم في دروسه مع النوع الثالث، حيث يقول المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين، النوع الثالث أن يصح ما يقرأه قبل حفظه، تصحيحاً متقناً إما على الشيخ، أو على غيره ممن يعينه، نحن سبق. قلنا مراراً وتكراراً أن العلم يؤخذ بالمشافهة، فلا بد أن تأخذ القرآن والحديث على شيخ بالمشافهة حتى تصح محفوظك، فلا تحفظ شيئاً إلا وقد عرضته على الشيخ حتى يصح لك الأخطاء، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً، ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً، ثم يتعهد في أوقات يقررها لتكرار مواضعه، طبعاً ما تكرر. ولعلم يا إخواني هو ما يمكن استحضاره في كل وقت، لأن العلم إذا لم يتقرر ولم يرسخ في ذهني الطالب، فهو كالحال أي عارض يذهب ويجي، نحن نريد من العلم أن يكون كالمقام راسخاً ثابتاً، يمكن أن يستحضر في أي وقت يريده الطالب، كيف يكون ذلك؟ بكثرة التكرار والمراجعة

والمدارسة، وهذا هو المطلوب من طالب العلم، يعني إذا سئلت عن مسألة. أصل أن تستحضر أدلتها، وتستحضر تصور تلك المسألة، لا أن تقول دعني أراجع، أو إذا أردت أن تستحضر الدليل، لا يمكنك استحضاره، لماذا؟ لأنك لأن ذلك العلم يعني تلك المعلومات الخاصة بتلك المسألة هي كالحال يعني بسرعة يمكن أن تنساها، كيف نرسخ ذلك المحفوظ بكثرة التكرار والمراجعة؟ والمعاهدة؟ قال ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه، لأنه يقع في التحريف والتصحيح. قد تقدم أن العلم لا يؤخذ من الكتب، فإنه من أضر المفاصد، طبعاً العلم يؤخذ من الشيخ لا من الكتاب، ومن كان شيخه كتابه غلب خطأه صوابه، وينبغي أن يحضر معه الدوات والقلم والسكين للتصحيح، آلات الكتابة دوات يعني المحبرة والقلم والسكين، يعني السكين كان يستخدم. كالمحي الآن، لأنه القلم يكتب الحبر، فإذا جف يقرش ذلك الموضع، يعني حتى يزيله ويصح خطأه ويضبط ما يصححه لغة وإعراباً، وإذا رد الشيخ عليه لفظة وظن أن رده خلاف الصواب أو علمه، كرر اللفظة مع ما قبلها ليتنبه لها الشيخ. إحنا المادة اسمها مادة أخلاق، والفصل يتحدث عن أدب المتعلم، أنظروا إلى أدب المتعلم، يعني إذا ذهل الشيخ أو سهى ونسي الشيخ فخرجت منه لفظة محرفة أو فيها لحن أو فيها خطأ، وتبين لك أيها الطالب أن الشيخ قد أخطأ، فالأولى أن تصح للشيخ بطريقة مؤدبة غير مباشرة، لا أن تقول والله يا شيخ قد أخطأت، لا، نحن نتعلم في الأخلاق، في الأدب حتى في أدب. الطالب مع شيخه في أدق الأمور، كيف تصح خطأ شيخك بأن تكرر اللفظة كما هي عليه؟ يعني على الصحيح حتى يتنبه الشيخ أن اللفظة قد نطق بها على خلاف ما هي عليه، أو يأتي بلفظ الصواب على سبيل الاستفهام مثلاً، كأن يقول مولانا بعد إذنكم هل الصواب كذا أو كذا؟ وكأنه يستفهم، فقد يتنبه الشيخ من سؤالك أن اللفظة التي قلتها هي. فربما وقع ذلك سهواً، أو سبق لسان لغفلة طبعاً، يعني الشيخ في الأخير والأستاذ راهو بشر يعني غير معصوم، قد يخطئ، قد يسهو، قد يسبق لسانه ولا يقل، بل هي كذا، وكأنه يصوب للشيخ، بل

يتلطف في تنبيهه الشيخ لها، فإن لم يتنبه، قال فهل يجوز في هكذا؟ فإن راجع الشيخ إلى الصواب، فلا كلام يعني إن رجع الشيخ إلى صواب لا يقول له نعم يا سيدي هذا ماذا؟ أ ما أردت أن. فقد أخطأته خلاص إن راجع الشيخ، وكأن شيئاً لم يكن، وإلا ترك تحقيقها إلى مجلس آخر بتل. قد يؤجل. المسألة. قد يحاول مرة أخرى بطريقة أخرى حتى يحفظ مقام الشيخ خاصة إذا كان هذا الموقف أمام جمع من الحضور الأصل. والأولى أن تحفظ مقام الشيخ، وهذا من حسن الأدب، وهذا من حسن المعروف مع الشيخ لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ، يعني قد يكون. الشيخ أعلم بك من هذه المسألة، يعني أنت تظن مثل أن المسألة فيها قول، ثم سمعت من الشيخ خلاف ما تعلمه، فتظن أن شيخ قد أخطأ، والحق أن شيخ قد جاء بقول ثان، أو تظن أن العرب لم ينطق بهذه الكلمة إلا بما تعلمته، فناطق الشيخ على بخلاف ما تعرفه، وتظن أن شيخك قد أخطأ، ويتبين لك أن الشيخ. يعلم ما لا تعلمون، وأن هذه الكلمة قد تلفظ بأكثر من وجه طبعاً، ومن كثر علمه قل إنكاره، وكذلك إذا تحقق خطأ الشيخ. مسألة لا يفوت تحقيقه، ولا يعسر تداركه، فإن كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء، وكون السائل غريباً أو بعيد، الدار، أو مشنعا، تعين تنبيه الشيخ على ذلك في الحال، بإشارة أو تصريح، لأن المقام يقتضي ذلك، قد يخطئ الشيخ في مسألة سهواً، أو نسياناً، أو ذهولاً، أو سبق لسان، والسائل جاءه من بلاد بعيدة، أو من مكان بعيد، أو قد يعصر. الوصول إلى ذلك الطالب مأوى السائل مرة أخرى حتى ينبه، فالأولى هنا أن ينبه الشيخ عن الخطأ الذي وقع فيه، أو السهو الذي وقع فيه. إشارة أو تصريحاً حفظاً لمقام العلم، فإن ترك ذلك خيانة للشيخ، أي فهي خيانة للشيخ، فيجب نصحه بتيقظه لذلك بما أمكن من تلطف أو غيره، وإذا وقف على مكان كتب قبالاته بلغ العرض، أو التصحيح، يعني إذا وقف على مكان يكتب قبالاته بلغ العرض، أو التصحيح، حتى يتنبه. النوع الرابع أن يبكر بسماع الحديث، ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه. والنظر في إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده، ولغته، وتواريخه، أن يبكر بسماع

الحديث يفهم هنا إما أن يبكر بسماع الحديث في زمن طلب العلم، يعني ألا يؤخر طلبه لي علم الحديث، وأن يشتغل بعلوم أخرى، فالأولى أي أولى العلوم على طالب العلم أن يشتغل بها هي القرآن والسنة. لأنهما الأصلان المقدمان على بقية. الكتاب والسنة، فالأصل بعد حفظه للقرآن أن يشتغل بحفظ بعض الأحاديث، وبالعلوم علوم الأحاديث من علم المصطلح، وعلم الجرح، والتعديل، و١١١ علم الرجال والأسانيد، إلى غير ذلك، قال ويعتني أولاً بصحيح البخاري مسلم. أولى الكتب عناية في علوم الحديث هي الصحاح الست، وأولى الصحاح الست، طبعاً صحيح البخاري، ثم مسلم، ثم ببقية الكتب الأعلام والأصول المعتمدة في هذا الشأن كموطأ مالك. أبي داود طبعاً، حتى خاصة نحن المالكية يعني يقبح على طالب علم المالكيين أن لا يطلع على كتاب الموطأ خاصة مع الشيخ، لأن كتاب الموطأ كتاب حديث أكثر منه كتاب فقه، فيجمع فيه الإمام مالك، ما إِي يعتمد في مذهبه وما لا يعتمد، لكن مطالعة وقراءة موطأ إمامنا، مالك أولى من غيره، والنساء وابن ماجة وجامع الترمذي ومسند الشافعي، ولا ينبغي أن يقتصر على أقل من ذلك. ونعم المعين للفقهاء. كتاب السنن الكبير لأبي بكر البيهقي، ومن ذلك المسانيد كمسند أحمد بن حنبل، وابن حميد والبخاري. هذه كتب مهمة كتب مهمة يحسن لطالب العلم خاصاً في مستويات معينة. في الحقيقة يعني لا أقل من أن يكون قد بلغ مستوى المتوسطين أو حتى يعني فاتته أن يطالع آ هذه المسانيد وهذه المصنفات في علم الحديث، ويعتني بمعرفة صحيح الحديث وحسنه وضعيفه. ومرسله وسائل أنواعه، فإنه أحد جناحي العالم بالشرعية، والمبين للكثير من الجناح الآخر، وهو القرآن. هذا الكلام في الحقيقة لا يصلح للمبتدئين، إنما يصلح لمن بلغ درجة ومستوى معين في العلم حتى يستطيع أن يشتغل بي الأحاديث، ويستطيع أن يعرف الصحيح من الضعيف، وأن ي يستطيع أن يطالع أقوال العلماء في بيان أي الأحاديث. ومنسوخ، وهذا له علاقة أيضاً في الحقيقة بعلم أصول الفقه، فهذا إذا مستوى فوق مستوى المبتدئين، ولا يقنع بمجرد السماع كغالب

محدثي هذا الزمان، يعني الاشتغال هنا في الحقيقة اشتغال يقرب إلى الاختصاص، أما سماع الأحاديث للإجازة ولي آخذ الإسناد، فهذا في الحقيقة سماع للبركة، وهذا جميل وفيه خير، السماع يعني حتى نحفظ. السلسلة، ونحفظ السند، ولكن هذا سماع للتبرك، نحن نريد أن نقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا للتبرك فقط، بل للمدارسة، وهذا يكون بمجالسة المشايخ، وقراءة كتب علم الحديث، وقراءة العلوم التي تختص بعلم الحديث، كما سبق أن ذكرنا آنفاً، قال قال الشافعي رضي الله عنه من نظر في الحديث قويت حجته، ولأن الدراية هي المقصود بنقل الحديث وتبليغه طبعاً. كما قلنا القرآن حجة، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم حجة، ولا بد أن نطالع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما حفظت وطالعت الأحاديث النبوية، كلما ازدادت معرفتك، وازدادت إحاطتك بأدلة الفقهاء، حتى تعلم أن كل آ حكم فقهي فرعي إلا لأي فقيه إلا وله مستند من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علمته أم لم تعلم، النوع الخامس إذا شرح محفوظاته المختصرات، وضبط ما فيها من الإشكالات. والفوائد المهمات انتقل إلى بحث المبسوطات مع المطالعة الدائمة، دائماً سبق أن قلنا أن طالب العلم على مستويات ثلاث مبتدئ ومتوسط ومنتهي المبتدئ هو الذي يشتغل بالمختصرات التي وضعت لذلك المستوى التي تراعي مستوى المبتدئين، ثم كذلك مستوى المتوسطين، أما إذا بلغ مستوى المنتهين فالآن طالب العلم صارت عنده علوم الآلة يستطيع بها أن يدخل غمار كتب المنتهين، وهي الكتب المطولة. التي تصلح للدراسة والتدريس والمطالعة، وتعليق ما يمر به أو يسمعه من الفوائد النفيسة، والمسائل الدقيقة، والفروع الغريبة، وحل المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهات من جميع أنواع العلوم، لكن هذه المرحلة كما قلنا، يسبقها مرحلة طويلة من التحصيل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا صابرين صابرين. مصابرين في طلب العلم. إن العلم بالتعلم لا بد من التدرج حتى نبلغ هذا المستوى العالي من العلم، ولا يستقل بفائدة يسمعها طالب العلم أينما وجد المنفعة إلا

واغتنمها، فلا يحتقر، ولا يستقل المعلومات التي تأتي من أي مصدر، سواء كانت هذه الفائدة جاءت من عالم أو متعلم أو طويل بعلم أو تلميذ، أو حتى عامي. إذا، ج رأى في ذلك الكلام فائدة، فلا يستقلها، فقد يحتاجها في وقت يندم على أنه لم يغتنم، ولم يحفظ تلك الفائدة. لذلك كان مشايخنا يوصوننا بأن يكون لكل طالب علم آقلم وكنش. لماذا؟ كي نقيد تلك الفوائد التي قد تضيع عنا، أو تضيع علينا ولا يمكن الرجوع إليها، فقد تكون الفوائد مشافهة، فتقيدها في كنا كنش حتى تحفظها أو يتهاون بقاعدة يضبطها، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها، ولتكن همته فيعالية فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره العلم كالمال، عندمن علم قيمته، لا يملئ بطن ابن آدم إلا التراب، هذا من محبته للدنيا والمال، كذلك طالب العين طالب العلم إذا تذوق حلاوة العلم، لا يشبع من طلب العلم ذلك، قالوا إثنان لا يشبعان، أو منهومان، لا يشبعان. طالب علم وطالب دنيا طالب العلم دائم ا في ازدياد، والعلم بحر لا شاطئ له، وكما يقولون، لا يزال العالم عالم ا، فإذا قال قد علمت فقد جهل. يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها أو يشغله الأمل والتسويق عنها، فإن للتأخير آفات، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر حصل في الزمن الثاني غيرها. العلم، لا، لا يحسن فيه التسويق والتسويق من الشيطان، وكل طالبي علم سوف إلا وقد ضيع من عمره الكثير، يتحسر عليه، ويندم عليه، يوم لا ينفع الندم، سوف أحفظ، سوف أطلع. لا زلت صغيرا، لا زال العام لم ينته. هكذا يسوف و يسوف حتى يبلغ من العمر أشده، فيلتنفت إلى ورائه، فيجد نفسه قد ضيع عمرا طويلا في التسويق الذي انجر عنه عدم التحصيل أقرانه وأنداده قد بلغوا ما بلغوا من التحصيل والعلم، لأنهم اجتهدوا واغتنموا، وأنت بتسويقك، أضعت أمورك، وأضعت العلم، ويغتنم وقت فراغه ونشاطه، وزمن عافيته، وشرخ شبابه ونباهة. هذا كله قد أوصى به سيدنا نبينا محمد صل الله عليه وسلم في الحديث المشهور، اغتنم قبل خمس قبل خمس، اغتنم خمس قبل خمس من بين ما وصى به سيدنا محمد صل الله عليه وسلم في هذه الوصاية،

شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك هذا، خاصة في طلب العلم، قال وقلة شواغله قبل عوارض البطالة أو موانع الرئاسة. قبل أن تبلغ من المناصب التي تشغلك عن طالبين أو قبل أن تتزوج، وقبل أن تنجب الأولاد، وتكثر المسؤوليات، فتندم على ذلك الفراغ الذي أضاعته، قال عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا، أي قبل أن تصيروا أسيادا عند أقوامكم، لأن السيادة فيها مسؤوليات، والمسؤوليات، تأخذ من وقتك الكثير، فلا تجد وقتا للمراجعة والمذاكرة. طلب العلم والاستزادة، وقال الشافعي تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست أي صرت رأسا عند قومك، أو عند مؤسستك، فلا سبيل إلى التفقه، وليحذر من نظره نفسه بعين الكمال، والاستغناء عن المشايخ، فإن ذلك عين الجهل، وقلة المعروف، أو قلة المعرفة كما قلنا، وما يفوته أكثر مما حصل، وقد تقدم قول سعيد بن جبیر لا يزال الرجل عالم ما تعلم، فإذا تركتوطن أنه قد استغنى، فهو أجهل ما يكون، وإذا كملت أهليته وظهرت فضيلته، و مر على أكثر كتب الفن أو المشهورة منها بحثا و مراجعة، و مطالعة اشتغل بالتصنيف، و بالنظر في مذاهب العلماء سالك طريق الإنصاف فيما يقع له من الخلاف، كما تقدم في أدب العالم، نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد. آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.